المحاضرة الخامسة

الأصول الداخلية والخارجية للتفلسف

وجدت الفلسفة مند القدم ،ويرتبط وجودها ببواعث إنها أصول الفلسفة وهي إما نابعة من ذاتية الإنسان أي من طبيعته ولايمكن له أن يتحرك من دونها وأخري ترجع إلي تاريخ الفلسفة بحد ذاتها

فما هي الأصول الذاخلية والخارجية لأصل التفلسف؟

أصول الطبيعة البشرية للفلسفة:

بدأ الإنسان يفكر ويتأمل ،يمارس طقوسه ويعبر عن أفكاره ويدون معارفه قبل ظهور الإغريق وهكدا إن التفلسف قديم قدم الإنسان بإعتباره فعل فكري قام به ليفسر العالم والمحيط ثم فكر في نفسه ومجتمعه وفي علاقاته الإنسانية و الإجتماعية هنا بدأت الدهشة.

1- الدهشة والقلق

تبدأ الفلسفة بالدهشة،وهي قادرة أن تجعلنا نتخيل كل شيء مختلفة عما هو عليه فتري المألوف كما لوكان غريبا والغريب كما لوكان مألوفا،إنها نبع التفلسف ولدت لدي الإنسان حس السؤال والإستفهام يقول أرسطو"لقد أتاحت الدهشة للإنسان قديما وحديثا أن يتفلسف... غير أن المرء الذي يتبين صعوبة ويندهش لها إنما يعترف بجهله الخاص... وكلما شعر بالجهل بحث عن المعرفة ومن هنا بدأ بالتفلسف"(أرسطو طاليس،ما بعد الطبيعة ص67)

الدهشة نوع من اليقضة تميز الإنسان أيا كان فيلسوفا فنانا أديبا إنها كل إنتباه ينتبهه المرء ولذلك يمكن أن نقول " الناس نيام فإذا دهشوا إنتبهوا"وبهذا هي ما يميز الإنسان فما تعريفها

قد تكون عقلية أو نفسية إنها حالة تصيب الإنسان تدعوه الي التوقف عن إصدارحكم،هي إنفعال عقلي وربما هزة وجدانية شديدة عندما تصيب الإنسان يقف مذهولا،لاتعني غياب العقل لأنها في المقام الأول فعل عقلي ونهدف بها أن نمارس المعرفة من أجل المعرفة،تستبعد الأهداف المادية فالفلسفة ليست صناعة نحقق من وراءها أغراض مادبة أومنافع عملية.

الدهشة عماد التفلسف لكن مما نندهش؟

تكون الدهشة أمام صعوبات ماثلة في الذهن أو مشكلات متصلة بالظواهر االكونية، فالصعوبة هي التي تدفع الي الدهشة (مأزق.ع على العقل تجاوزه)،تنبع الدهشة من السؤال

أو هي تساءل دائم،نتساءل عن المبدأ الأول، عن المصير، من أين جئنا،ماحقيقة الموت،ماهي الحقيقة،مامصير الإنسانية،كيف نتصور وجود خالق للعالم ماعلاقتنا به وماعلاقته بنا، نتساءل عن ماهية الشيء ما الجمال، ما المعرفة.....إن السؤال عن ما هو موجود هو الذي طبع الإنسان العربي من المهد حتى اللحظة الراهنة فالسؤال"ماهو""سؤال عن ماهية الشيء،عن جوهره وحقيقته يستيظ في عقل الإنسان وقلبه حين يصيب الإضطراب والغموض وحين تهن صلته به أو تهدد بالضياع والإنهيار"(عبد الغفار مكاوى،مدرسة الحكمة،ص91)

الدهشة إزاءأي شيء هي إقراربعدم المعرفة والجهل هي دعوة لأن نبدأ التأمل،تلعب الدهشة دورا مهما لدى الفيلسوف باعتبارها إعترافا بالجهل أمام ضاهرة،واهشة التي تثير صعوبة هي التي نسعي للوصول إلى المعرفة ويقول كارل ياسبرس"إن الإندهاش يدفع الإنسان الى المعرفة،فحين أندهش فمعنى هذا أنني أشعر بجهلي"(يا سبرس،مستقبل الإنسانية،ص56)

مثال تطبيقي سقراط أول المندهشين

لم يستطع سقراط أن يواصل تعليمه نتيجة لفقر أسرته،فحاول أن يتعلم من الاثنيين فوجدهم يدعون العلم والمعرفة بكل شيء(السفسطائى الذي يعرف لكل مشكله حل يجد لكل سؤال جواب)هنا كانت دهشة سقراط و تسأل أ يمكن ان يكون كل هؤلاء الأثنيين علماء ما عدا هو ؟

ظل حائرا يتأمل و بذلك كان الحكيم (سقراط) هو الذي يسعى الي الحكمة ويوقظ بسعيه الشوق إليها في نفوس الاخرين

ويشهد تاريخ العلم كيف أن الإنسان الفنان أو الفيلسوف أو العالم حينما إندهش،اكتشف مثل بيكاسو نيوتن.....فالحيرة التي تنتاب الإنسان هي الدفعة التي لا بد منها لكي يكون فكر. وهي الدفعة التي لا بد منها لكي يسنيقظ هذا الفكر ويجرب أن العالم أعظم واعمق وأغني بالأسرارمما توحى به حياته اليومية ليس للمندهش صلة بالغريب الكثير غيرالمعتاد فمن كان في حاجة الي شئ يثيره ليبعث الدهشة في نفسه.

هذا ماقاله الشاعر الألماني جوته،وهو في السبعين من عمره

"وجدت لكي أندهش :

كيف أن الطبيعة تحيا بالخلق

إنه هو الواحد أبدا

يكشف عن ذاته في صور متعددة

الكبير يبدو صغيرا، والصغير كبير

قريب وبعيد،بعيدوقريب

وانا جئت الي هذا العالم

لأحيا في الإندهاش.

وبعد أن بلغ التمانين قال ان الدهشة هي أسمى ما يستطيع أن يصل اليه الإنسان"(مكاوى عبد الغفار،مدرسة الحكمة،ص101)

إن قدرة الإنسان على الإندهاش هي قدرته على الإحتفاظ ببراءته وحريته و الإنسان وحده هو الذي كتب عليه أن يحس بفنائه وفناء ماحوله،فيعجب لما يراه،هذا العجب هو حافز السؤال ،وهو التأمل النظري إنه الدهشة ، وهي ليست مجرد بداية يمكن أن نقول إنما هي مبدأ التفلسف وجوهره التابث وقوته المتحركة لو زالت عنه لتوقف التفلسف.

2- الشك

تثير الدهشة والتساؤل إزاء أي موضوع شكوكا حول الأفكار والأراء،فما مفهوم الشك وما علاقته بالفلسفة؟

تعريف الشك

يعرف الجرجاني انه"التردد بين النقيضين أو بين رأيين كلامها له وجهاته وحججه والشاك هنا يتوقف عادة عن الحكم على صحة أي النقيضين ويتردد بينهما.وهذه الريبة والتردد لايدل على جهل الشاك بالموضوع بل يعني أن يتخد موقفا فلسفيا عقليا يحاول فيه الفهم.الأعمق للموضوع للوصول إلى الحقيقة"(مصطفى النشار،التفكير الفلسفي،ص89)

الشك دليل على الحرية الفكرية إزاء ما يطرح على العقل من اراء وأفكار ومعتقدات،وله أنواع،فما هي انواعه؟

انواع الشك

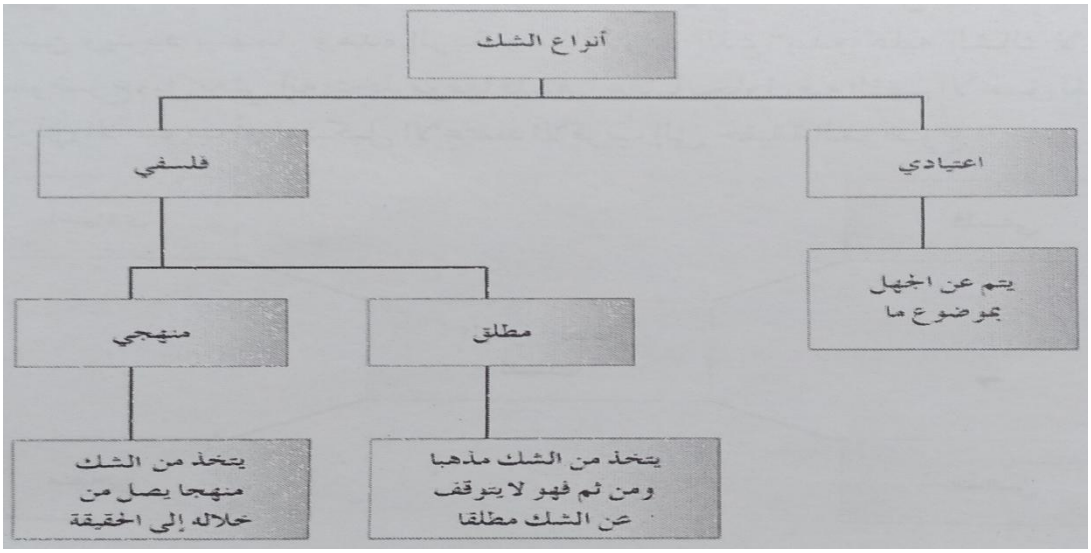

الشك المطلق:

هو الشك لمجرد الشك،يتخده الفيلسوف مذهبا يؤمن به لايصل الي اية حقيقة انما يبدأ بالشك وينتهي به،ومن بدهيات هذا الشك أن الإنسان لا يمكنه الوصول الي حقيقة تابثة حول أي موضوع لا بالعقل ولابالحواس.

ظهر هذا الشك في المرحلة الهيلينستية وسموا اصحابه بالشكاك والشك عندهم غاية وهدف إن التوقف عن إصدار الأحكام وتاجيل الحكم،إنما هو الطريقة المثلى للتوافق مع ظاهر الأشياء،ومع الاعراف والعادات والقوانين السائدة ،ومن زعماء هذا المذهب "بيرون" المعروف بالشك الخلقي"الشك عنده موجها لقيمة الأشياء بالإضافة إلى السعادة،لا الى قيمة المعرفة في ذاتها وهو صاحب اللا أدرية إنه يمتنع عن الحكم"فلا يقر مثلا أن الشيء أبيض أو حلوبل يبدو الشئ أبيض،وأن العسل حلو"(يوسف كرم،تاريخ الفلسفة اليونانية ص 260)

إن التوقف عن الحكم سلبا اوايجابا إنما هو الذي يوفر لهم حالة السكون والطمأنينة النفسية والراحة العقلية وسمي التوقف عن الحكم"ايبوخيه" وهو الذي يولد السكينة الكاملة في النفس و يحرر من العاطفة أتاراكسيا

هذا الشك زائف،فنحن لم نخلق كالبهائم لنتعايش مع ما هوكائن دون محاولة الفهم و إدراك الحقيقة، إنه شك سلبي لا يليق بالإنسان.

الشك المنهجي:

نصطنع من الشك أداة منهجية ووسيلة للوصول إلى الحقيقة ،إنه الطريقة المثلى للتأكد من صحة الأخبار والأنباء نجد في القرآن الكريم كلمة "التبيين فتبينوا" ونقصد بها الشك المنهجي أي التوقف مؤقتا عن إصدار الأحكام بالصدق أو الكذب حتى يتم القيام بالفحص والمناقشة الوصول الي المعرفة الصادقة.

نقصد بالشك كباعث للفلسفة لدى الفيلسوف اما أنه الإحساس بالجهل في موقف يستلزم منا أن نختار بوعي بين البدائل اوهوالنظرة النقدية ولو مرة واحدة في الحياة.

مارس الشك المنهجي أبرز الفلاسفة من بينهم سقراط الذي بدا بالسؤال والتحاورمع الخصم حتي يصل الي ماهية الأشياء.وفي الفكر الإسلامي يقول الغزالي "الشكوك هي الموصلة الي الحق ،فمن لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر،ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال"(الغزالي ابو حامد،معيار العلم،ص78) هذا الشك هو بمثابة النقد يعلم الحذر والتمحيص إنه وسيلة لغاية مطلوبة.

ومن المفكرين الذين مارسوا الشك نجد ديكارت فالشك طريق منهجي للوصول إلى المعرفة الصحيحة،ويؤكدأن الشك هو الذي يعيننا على أن لاتكون في عقولنا أي افكار غامضة اوخاطئة .الشك هو عملية فحص منهجي وسيلة لغاية هي الوصول الي المعرفة الصادقة

يقول ديكارت أنا أشك فإذن أنا أفكر وأنا أفكر فإذن أنا موجود(عزمي طه السيد أحمد الوجه الاخر للفلسفة،ص170)

الشك المنهجي هو نوع من التفكير،إنه حقيقة وليس وهم

3-التواصل:

إن الفلسفة أداة حوار تسعى الي كشف عن الإختلاف فيما وراء الإئتلاف،و عن التعدد فيما وراء الوحدة ذلك لان لكل إنسان رؤية، ولايهدأ باله إلا من خلال التشارك مع الآخرين والتواصل معهم لغرض الإستفادة من معارفهم وتوسيع افاق البحث ويتولد التواصل عبر تنائية متجادلة الأنا/ الاخر،الفردي/ الجماعي، العلمية/ الفلسفي

ينشأ التواصل عندما يتساءل الفرد ،فاليوناني إبتكر الأداة المنهجية التي تمكننا من بلوغ الحقيقة وهو سؤال"ما" إنه سؤال بدايته دهشة ،وهذا السؤال يقر بوجود تواصل معرفي منهجي بين الفلسفات المختلفة،وبين أجزاء الفلسفة الواحدة والفلسفة ومحيطها الاجتماعي والتاريخي.

الأصول الخارجية لنشأة الفلسفة:

خرجت الفلسفة هن الأسطورة وثم هذا الخروج لمجموعة من العوامل التي ساهمت في إحداث تحول نوعي في مسيرة العقل البشري من خلال تعاطيه الجديد مع أمور الطبيعة والقوانين ولم يتطور التفكير إلا من خلال تفاعله مع نتائج هذه العوامل مجتمعة(إقتصادية،إجتماعية، سياسية ثقافية وحضارية)

العامل السياسي:

أسفرت العلاقات التنافس بين الأحرار الذين بدأوا صراعا من أجل السيطرة على الممرات والأسواق و أذى ذلك لتحول سياسي فظهرت فكرة المواطن ويقول بنتراند راسل:

" اكتسب اليونانيون ، بفضل حروبهم مع الفرس وعيا مشتركا بالروابط المشتركة التي تجمع بينهم ، أعني روابط اللغة والثقافة والوطن ، ومع ذلك فقد ظلت المدينة – الدولة Polis ، محور الاهتمام إلى حد بعيد ؛ فإلى جانب التراث الذي ينتسب إليه كل الناطقين باللسان اليوناني ، ظلت العادات المحلية لكل مدينة حية بقوة ، ومحتفظة ببهويتها"(بنتراند راسل حكمة الغرب تر فؤاد زكريا ص62)

مارس اليوناني حقه في تقرير مصيره من خلال مساهمته في سن القوانين التي تتوافق مع علاقة التناسق التي إكتشفها وأصبح النوموس(nomos) هو معيار تكوين القانون هكدا أسس العامل السياسي والحرية الفردية والفكرية النواة الاساسية لنشأة التفكير الفلسفي وبتاسيس المدينة(polis) ظهر الفكرالعقلاني فأصبح التنظيم البشري موضع نقاش وأمكن للتجربة الإجتماعية أن تصبح موضوع تأمل وتفكير.